

يطيق من الأمر، ثم هي لم تَدْعُ المرض إلى نفسها، كما أنها لم تَدْعُ القبح إلى وجهها، فهل تستطيع أن تنبئني فيم كان إقبال خالد عليها، وفيم كان إعراضه عنها، وفيم كان تعذيبه لها، ثم فيم كان هذا الطلاق، وفيم كانت هذه الخطبة؟ هُناك دُهِش سليم لعلم زبيدة بأمر الطلاق وبأمر الخطبة، فقال لامرأته مترففاً: ومن أنباك بأن خالدًا طلق امرأتها؟ أو من أنباك بأنه همٌّ أن يتزوج امرأة أخرى؟ قالت زبيدة: أنبأني بذلك من أنبأني، ولكنه حق لا شك فيه، وإنَّ خالدًا لأعقل وأرفق بنفيسة من أن يهجرها هجرًا غير جميل كما يفعل الآن، فيقرُّها في طرف من أطراف الدار ويقيم على خدمتها وخدمة ابنتها وأمها مولاته نسيم، ثم لا يزور هؤلاء النسوة إلا زيارات متقطعة، هو أعقل وأرفق بنفيسة من أن يأتي هذا كله من الأمر دون أن يُنبئها بأنَّ الصلة بينها وبينه مقطوعة، وبأنَّ الحبل بينها وبينه مبتوت.

قال سليم: فإنك تعلمين أن نفيسة لا تصلح له زوجًا، ولا تقدر على عشرة الرجال، فما ذنب خالد إن اعترف بالحق الواقع؛ وهل ترين له أن يعيش مع مجنونة أو أن يفرض على نفسه حياة الرهبان؟ قالت: لا أدري! ولكن جنون نفيسة لم يأتها من قبل نفسها، وإنما جاءها من هذا الزواج الذي لم تُرده، ومن هذه الظروف التي لم تخلقها، ورحم الله أم خالد إذ قالت لزوجها: إنه إن أتمَّ هذا الزواج فلن يزيد على أن يغرس في داره شجرة البؤس، لقد غُرست شجرة البؤس فنمت وأتت ثمرها بشعًا خبيثًا، امرأة تُرزأ في زوجها وابنتها معًا، ثم ترى ابنتها وقد اصطلح عليها المرض وهَجَرَ الزوج والحرمان، فأنت تعلم أن نفيسة ليست مُيسِّراً عليها في الرزق، ولست ألوم أحداً، ولكنها فقدت ثروة أبيها، وتفرقت ثروة علي في أسرته الضخمة، وخالد لا يرزقها إلا كما يستطيع، ثم لم يكفها هذا كله، فقد رزقها هذا الزواج السعيد صبيتين كان من حقهما أن تنشأ في النعمة، فهما تنشئان في البؤس بين أمٍّ مريضةٍ وجدة محزونة ومولاة سوداء تقوم من أمرهما بما تستطيع القيام به، وأبٍ ينفق الأيام، وقد يُنفق الأسبوع، دون أن يراهما، كل هذا لا يكفي، فلا بد من أن يتزوج خالد، ومن أن يتَّخذَ لأمهما ضرة، ومن أن يكون له من هذه الضرة بنون وبنات يشاركونهما في حب أبيهما وبرِّه، ومن يدري، لعلمهم يصرفون أباهما عنهما كل الصرف، حدثني عن نفيسة أمن أهل الجنة هي أم من أهل النار؟ وحدثني عن أمها أمن أهل الجنة هي أم من أهل النار؟ ولا تنس أن نفيسة لا تحسن الصلاة، فهي لا تُؤدِّي الصلوات الخمس كما يُؤدِّيها خالد، بل هي لم تعد تحسن شيئاً، فقد تاب إليها حظ من رشد ولكنه ضئيل جدًّا لا يكاد يكفي إلا لتفهم عنم يحدثها وتفهم من